انتشار الخط المسماري في الشرق الأدنى القديم

The spread of cuneiform script in the ancient Near East

نور الهدى ورنوغي*	فيصل فالته
جامعة باتنة 1 (الجزائر)	جامعة باتنة 1 (الجزائر)
nourelhouda.ouernoughi@univ-batna.dz	fayssal.falta@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2022/12/23 تاريخ القبول: 2023/12/03

• الملخص:

قد لا نكون مبالغين إذا قلنا إن أعظم إنجاز حضاري قدمته "بلاد الرافدين" في تاريخها القديم، والذي أفاد شعوب المنطقة العربية القديمة وشعوب البلاد المجاورة، هو الخط المسماري الذي كان من أقدم وسائل التدوين التي توصل إليها الإنسان للحفاظ على تاريخه وتراثه ومنجزاته، والذي بقي في استعماله عبر مسيرة طويلة من الزمن تزيد على ثلاثة آلاف سنة، هذا الإنجاز الحضاري العظيم الذي كان الفضل في اكتشافه يعود "للسومريين"، والذي حمل مسؤولية تطويره وتهذيبه "الأكديون"و"البابليون"و"الآشوريون" من بعدهم، وكان بمثابة النواة الأولى التي أعطت الحافز لمن جاء من بعدهم في التفكير في إيجاد نمط كتابي جديد أقل تعقيدًا، والذي توج في نهاية المطاف بالتوصل إلى الحروف الهجائية.

في هذه الورقة البحثية؛ سنحاول طرح مسألة نشأة الكتابة المسمارية، والتطرق الى الكتابات الأولى المكتشفة في جنوب بلاد الرافدين، ثم نتحدث عن الرحلة التي قام بها الباحثين في فك رمز هذه الكتابة، ثم أتحدث عن انتشار الخط المسماري في طريقين رئيسيين: انتشار الخط المسماري في الحدود بلاد الرافدين وانتشارِه خارج بلاد الرافدين، في محاولة لبسط الامتداد الحضاري للخط على الخريطة الجغرافية.

كلمات مفتاحية: المسمارية.،الكتابة.، الخط.، سومر.، أكد.، بابل.، آشور.

Abstract:

We may not be exaggerating if we say that the greatest civilizational achievement presented by "Mesopotamia" in its ancient history, which benefited the peoples of the ancient Arab region and the peoples of neighboring countries, is the cuneiform line, which was one of the oldest means of writing that man reached to preserve his history, heritage and achievements, which remained In its use through a long march of time that exceeds three thousand years, and more important than this great civilizational achievement, which was credited for its discovery belongs to the “Sumerians”, who carried the responsibility for its development and refinement of the “Akkadians”, “Babylonians” and “Assyrians” after them, and it was like The first nucleus that gave motivation to those who came after them to think about finding a new, less complex writing style that eventually culminated in the alphabets.

In this research paper, I will try to raise the issue of the emergence of cuneiform writing, and address the first writings discovered in southern Mesopotamia, then I will talk about the journey undertaken by the researchers in deciphering the symbol of this writing, then I will talk about the spread of the cuneiform line in two main ways, the spread of the cuneiform line in the borders Mesopotamia and outside Mesopotamia, in an attempt to expand the civilizational extension of the line on the geographical map.

Keywords:

Cuneiform, writing, calligraphy, Sumer, Akkad, Babylon, Assyria.

*نور الهدى ورنوغي

• مقدمة:

تعتبر الكتابة المسمارية أهم محطة **حضارية كبرى في تاريخ الانسان العراقي القديم، تأتي في رأس الأدلة المادية للنضوج الحضاري في العالم القديم، وكان لها الفضل في وصول تاريخ** الحضارات القديمة، **كما تركت اثرا على مجمل الحضارة الإنسانية، ولو لاها لما استطاع الانسان أن يسجل علومه ومعارفه.**

ومما لا شك فيه أنه كان للرافدين الفضل في وضع البدايات الاولى للحقول الأدبية في العالم القديم، وقد حمل السومريين على عاتقهم المرحلة الأولى من هذا التدوين، في حين كان للأكاديين ومن بعدهم والبابليين والأشوريين الفضل في تبنيه وتطوره، ففي مجال الخط المسماري كان للسومريين الفضل الاول في استنباط اقدم وسيلة للتدوين، و التي اصطلحنا على تسميتها الكتابة المسمارية قد اخذها الاكاديون عنهم ولكنهم طوروها واضافوا اليها كثيرا من القيم الصوتية الجديدة مما يلائم لغتهم، غير أن هذا الخط تخطى حدود بلاد الرافدين، ليصبح هو الخط الرسمي الذي عرفة به مراسلات العالم القديم.

1.نشأة الكتابة المسمارية وتطورها

شهدت منطقة "بلاد الرافدين" –العراق قديماً– وعلى وجه التحديد "سومر"– جنوب بلاد الرافدين–، ظهور أقدم وسيلة للتدوين في حدود سنة 3200 ق.م، والتي عرفت باسم "الكتابة المسمارية"، فمصطلح "الخط المسماري" يمكن إطلاقه على الكتابة في مرحلة كم مراحِل **تطورها؛ أي بعد أن أصبحت العلامات تأخذ الشكل "المسماري" بسبب النهاية المدبية لقلم القصب.[1] وقد سميت بالكتابة المسمارية أيضاً نسبة الى القلم الذي يشبه المسمار، وهو مصنوع من المعدن ومدبب، وله شكل مثلث "منشوري" ، الذي كان يستخدم في الكتابة حيث يترك نهايات حادة تشبه شكل "المسامير".[2]**

تعتبر الألواح الطين المكتوبة التي عثر عليها في الطبقة الرابعة من مدينة "الوركاء" "السومرية" أقدم النماذج التي اكتشفت **حتى الآن،[3]وترجع الى حوالي خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، حيث عثر في احد معابدها على مجموعة من الرقم الطينية،والتيتتألف هذه الوثائق** على **اكثر من "ألف" لوح صغير من الطين منقوش عليها بالكتابة الصورية،[4] بالإضافة إلى مكتشفات في مدن عديدة مثل "جمدة نصر" و"العقير" و"أور"، وهي نصوص كلها ذات مضامين اقتصادية، وغير مفيدة لدراسة قواعد اللغة "السومرية".[5] غير أن في مدينة "شروباك" وجدت التنقيبات التي أجريت هناك ما بين عام 1902 ـ 1903 ، عدد كبير من الالواح المدرسية التي كان يدرس فيها تلاميذ المدارس، ويرجع تاريخها الى عام 2500 ق.م على وجه التقريب،[6] وكل هذه المدن موجودة في جنوب بلاد**

---

[1]فاضل عبد الواحد علي، **الخط السومري واللغة الاكادية** : اثنتان من ابرز العوامل بين الحضارات القديمة في الوطن العربي، جامعة بغداد، قسم الاثار، ص 192 .

[2]حلمي محروس اسماعيل، **الشرق العربي القديم وحضارته**، مؤسسة شاب الجامعية، 1997 ، ص 114.

[3]فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 192 .

[4]صمويل كرمير، **الواح سومر**، ترجمة : طه باقر، مكتبة الشني، بغداد، (د.ت.ن)، ص 43 .

[5]سعيد اسماعيل علي، **التربية في حضارة الشرق القديم**، دار عالم الكتب، الطبعة : الاولى، مصر، 1999، ص 121 – 123 .

[6]صمويل كرمير، المرجع السابق، ص 43 .

الرافدين في "سومر"، أي أن الكتابة "المسمارية" هو اختراع من العنصر "السومري"، وهو عنصر حسب لغتهم لا ينتمي إلى أي أحد من العائلات السامية، فحسب الدراسات "الاثنية والفيزيولوجية" فإن السومريين ليسوا سكان أصليين في منطقة جنوب بلاد الرافدين، وهناك اختلاف كبير حول أصولهم، فمعرفة أصلهم يبعث بالضرورة معرفة أصل أقدم وسيلة للتدوين عرفها الانسان في الحضارات القديمة، فيما يرى الباحث العراقي "سوسة" أن "الخط المسماري" الذي نسب اختراعه إلى السومريين، كان قد ظهر في الألف الرابعة قبل الميلاد لأول مرة، فهذا يعني ظهورها قبل وجود السومريون في منطقة بلاد الرافدين، وهذا على ضوء مجموعة من الكتابات وصلت من مدينة "كيش" السامية في "أكد" وليس من "سومر"، ويرجع تاريخها الى حوالي عام 4000 ق.م، ولم تكن هذه الكتابة على الطين كما كانت عليه "الرقم السومري" التي اكتشفت في"الوركاء" فيما بعد، بل كانت منقوشة على الحجر[7]، وهذا ينافي ما ذهبت إليه الآراء الاخرى إلى أن أول ظهور للكتابة كان في المدن السومرية، وبالتحديد في " الوركاء".[8]



المكتشفات الأولى من المسماريات عبارة عن شفرات ورموز تشبه المسمار

هناك فرضية أخرى تذهب الى أبعد من ذلك، حيث أن الكتابة المسمارية ليست اختراع رافدي – من بلاد الرافدين– في الأصل، لا "سومري" ولا "أكدي"، حيث يشير أحد الباحثين إلى فرضية تقول أن "السومريين" تعلموا الكتابة من أحد الشعوب التي تعيش على ضفاف نهر "الدانوب"، ولكن السومريين قاموا بدورهم في تطور الكتابة، وقد اصبحت هذه الفرضية مقبولة وخاصة بعد العثور في عام 1961 على الرقم الطينية التي تعود إلى العصر الحجري الحديث في منطقة "تارتاريا" برومانيا، فالتشابه بين الإشارات الواردة في هذه الألواح وبين أقدم الكتابات التي خلفها السومريون واضح، اضف الى ذلك إلا أن نتائج التحليل "الراديو–كربونية" قد حيرت الخبراء لأنها أوضحت أن تلك الإشارات من ضفاف الدانوب أقدم بمئات السنين من "السومرية"،

[7] سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 121 – 123 .

[8] فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص193 .

فالطرح هذا ينفي تأثر شعوب منطقة نهر "الدانوب" بالسومريين، وغير مستبعد أن تفاجئنا التحاليل "الراديو–كربونية" في المستقبل أيضاً، ولذلك فإن الوقت مبكر جداً لاستخلاص رأي نهائي حول هذا[9].

لكن مع ذلك تعتبر هذه مجرد فرضيات مازالت لم تثبت صحتها بعد، ومهما اختلفت أصول الكتابة المسمارية إلا أن السومريون هم من اشتهروا بهذا الخط وطوروه وحمله من بعدهم البابليون والآشوريون وغيرهم من الشعوب التي كانت تحيط ببلاد الرافدين، فالكتابة "المسمارية" كتابة ترجع إلى منطقة بلاد الرافدين.[10]

مما لا شك فيه أن الكتابة "المسمارية" تعتبر من أوائل الكتابات التي ظهرت في العالم القديم، ولكن هل هي أول كتابة ظهرت في العالم؟

إن علماء المصريات يذهبون إلى أن الكتابة "الهيروغليفية" التي اخترعها المصريين القدماء هي أقدم كتابة ظهرت في العالم القديم، فيما يرى علماء الآثار ببلاد الرافدين أن أقدم الكتابات كانت في الإقليم السومري، مما جعل "سارتون" يطرح تساؤلاً عما إذا كان الاختراع السومري قد ظهر مستقلا عن الاختراع المصري؟، وهو هنا يذكرنا بأن انتقال اختراع ما من إقليم إلى آخر يمكن فهمه على صورتين مختلفتين تمام الاختلاف، حسبما ينظر الباحث إلى ذلك الاختراع في ظاهرته العامة أو في ظاهرته الفنية، فالظاهرة العامة في الحالة أن اللغة المحكية يمكن اداؤها على وجه الدقة[11] وترتيبها بواسطة علامة مكتوبة، وهذه الظاهرة اهتدى إليها الكثير من الشعوب كل على حدى، وهي مرحلتها الأولى ظاهرة طبيعية بسيطة، لأنه من اليسير أن تكون الرموز المصورة دالة على الأفكار أو الحقائق، أما من الناحية الاداء الفني الذي تحققت به تلك الظاهرة، فالطريقتان المصرية والسومرية مختلفتان بعضهما البعض، بحيث نستطيع ان نقول بأن أحد الشعبين لم يؤثر بالآخر[12].

على هذا فقد كانت جهود السومريين الاوائل في تطوير كتابتهم، تختلف عن الكتابة المصرية القديمة التي نافستها شهرة في العالم القديم، فهي تختلف عنها من حيث سهولة التعبير نسبيا بالحركات في مقاطعها، وتخليها في أغلب الأحيان عن الصورة الطبيعية الاصلية، كذلك اختلاف في مواد الكتابة فالمصريون اعتمدوا على "ورق البردي" أما العراقيون القدامى استعملوا الطين.

فيما يخص سبب ظهور الكتابة في الإقليم الجنوبي لبلاد الرافدين فذلك راجع لعدة اعتبارات، أولها أن ظهور الكتابة في بلاد الرافدين راجع بالدرجة الاولى إلى الحاجة الملحة لوجود وسيلة لحفظ سجلات، فقد كان لظهور الخط المسماري في بلاد الرافدين ظروف ومسببات، فالكتابات الأولى التي عثر عليها في "الوركاء" كانت ذات طابع اقتصادي.

---

[9] سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 123 .

[10] طه باقر، **مقدمة في الادب العربي القديم**، دار الحرية، ط : 1 ،العراق، (د.ت.ن) ،ص 8 .

[11] سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 127 .

[12] فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 193 .

تعتبر الكتابة حدا فاصلا بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية، فإنها في الواقع لم تصبح أداة نافعة للتدوين على نطاق واسع إلابعد قرون من ظهورها في سومر، ولكن هذا الخط لم يبقى كما ظهر بل تعرض إلى عدد من تغيرات خلال المراحل التي مر بها وأخذ العديد من الاشكال، بل أخذ حتى صيغ مختلف ودخل فيها مصطلحات ليست بالسومرية، وقد مرت الكتابة المسمارية بمراحل أهمها:

1 . 2 تطور الكتابة المسمارية:

سميت الحقبة التي شهدت ظهور الكتابة في المرحلة الاولى بـ " الطور الشبيه بالكتابي" وهو طور كانت فيه الكتابة ما تزال في طورها الأولى ومحدودة في الانتشار، وقد أستعمل المختصون بـ"المسماريات" مصطلح "النصوص البدائية" للدلالة على رقم الطين التي تعود الى هذا الطور الذي يمتد من 3000 الى 2600 ق.م[13]، والتي تشمل الرقم المكتشف في "الوركاء" في هذا العصر المبكر.[14] في أول الأمر كانت الكتابة عبارة عن صور تعبر كل منها عن رمز معين وبعد ذلك تطورت هذه الصور، فصغر حجمها وبسط شكلها، بحيث أصبح تدونها بسرعة وسهولة، ثم تحولت إلى علامات صوتية تعبر عن الاصوات التي ينطق بها عن الصورة نفسها،[15]ولقد مرت الكتابة في هذا الطور (الشبيه بالكتابي) بثلاث مراحل مهمة من التطور هي :

1 . 2 . 1 الطور الصوري : (Pictographic)

أي التعبير عن الشيء برسم صورته [16]، و الذي أستعمله المصريون القدامى أيضا، فتسمى التصويرية لأنه يدل على الشيء برسم صورة له أو لجزء مميز من أجزائه، فلكتابة "سمكة" مثلا ترسم صورة لها ولكتابة "ثور" ترسم صورة لراسه وقرنه، ولكتابة قمح ترسم سنبلة، وكان يدل على الأفعال برسم من الاساليب البارعة، فصورة القدم تعني "الذهاب" وصورة فم مع إضافة علامة دالة على خبز أو ماء لتعني "الأكل" أو "الشرب" وهكذا ولم يكن من اليسر رسم صورة دقيقة أو خطوط مقوسة على الصلصال الاملس، لذلك حاولوا تغير رسم برسم تكون مختلفة الى مجموعة الخطوط على نمط خاص تمثل فقط الفكر التي كانت تدل عليها اصولها ، ومن ثم سميت رموزا.[17]

1 . 2 . 2 الطور الرمزي : (Ideographic)

أي استنباط معاني جانبية من صورة الاصل كاستخدام العلامة الدالة على الشمس للتعبير عن معاني مشتقة مثل (لامع ، ساطع ، مشرق) وبالمثل لتعبير عن كلمة (يوم) لأن شروق الشمس وغروبها يمثلان[18] يوما، فتعدد المعاني للرمز الكتابي الواحد ادى الى صعوبات كبيرة [19]، فقرأت النص كانت كحل أحجية من الاحاجي، لذلك لم يستطع القراءة و الكتابة بالشكل الصحيح، إلا الكاتب الخبير الذي قضى سنينا عديدة في ذلك، ولكن الشكل المعقد للرمز الكتابي أخذ تدريجيا يميل إلى البساطة، حتى أنه في نهاية الالف الثالثة ق.م أصبحت الرموز الكتابية بعيدة كل البعد من الصورة الأولية.[20]

---

[13]سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 121 – 123 .

[14]فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 192 .

[15]حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 114.

[16]فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 192 .

[17]سبتيو موسكاتي، **الحضارة السامية القديمة**، تر : السيدة يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، العراق، 1957، ص 64 .

[18]نعيم فرح، المرجع السابق، ص 41 .

[19]فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، 192 .

[20]نعيم فرح، المرجع السابق، ص 41 .

1 . 2 . 3 الطور الصوتي: Phonetic

هذه صورة جديدة للكتابة، التي نشأت على هذا النحو، وكان اختراعها خطوة واسعة إلى الأمام نحو تبسيط نظام الكتابة والوصول بها إلى التمام، ولكنها كانت أيضا شديدة الصعوبة فالقيم الرمزية للعلامة لم تختفي تماما، فكانت كثير من علامات تفسر على أساس الرمز، وإما على أساس صوتي، والعلامات أكثر ذات أساس صوتي، فمثلا كلمة قف هي تقرا gin "سار" أو gub "وقف"،[21] وفيه استخدمت العلامة ليس من أجل معناها الصوري أو الرمزي إنما من أجل صوتها فقط، وبهذه الوسيلة تمكنوا من كتابة أسماء الأعلام والأشياء على هيئة مقاطع صوتية.

وقد صاحبت هذه التغيرات في مدلول العلامات تغيرات في الشكل أيضا، إذ أخذت العلامات تفقد شكلها الصوري بصورة تدريجية نتيجة عوامل عديدة ، لعل من أبرزها أن المادة المستعملة للكتابة الطين،وهي غير ملائمة لرسم صور الاشياء، لكنها ملائمة جدا لكتابة العلامات بشكل خطوط مستقلة وذلك بضغط رأس القلم قليلا على وجه الرقيم، وبذلك صارت العلامات تتكون من خطوط مستقيمة أفقية وعمودية ، ومن زاويا مائلة، كما أن رأس القلم المدبب أعطى هذه الخطوط رؤوسا مدبية تشبه المسامير ، ثم أن عدم توصل سكان بلاد وادي الرافدين الى كتابة الهجائية كان عاملا معوقا اضطرهم الى أن يستخدموا أعداد كبير من العلامات المسمارية وقد بلغ عددها في العصر الأول من تاريخ الكتابة ما يزيد على 2000 علامة ، لكنها لم تلبث أن اختزلت بمرور الزمن حتى أصبحت في حدود 800 علامة في نهاية عصر فجر السلالات الثانية 2600 ق.م.[22]

وقد كانت نشأة المدرسة نتيجة مباشرة لاختراع الكتابة المسمارية وتطورها، فقد وجدت بعض الألواح تشتمل على جداول تم تدوينها لغرض التمرين و الدرس، فالنصف الأخير من الألف الثالث ق.م. وهي الفترة التي بلغت فيها المدرسة السومرية طور النضج والازدهار، من خلال نصوص نعلم أن عدد الكتبة الذين كانوا يمارسون مهنة الكتابة كان كبيرا، حتى أن البعض يقدرهم بالألف، منهم الكتبة الصغار المبتدئون، و الكتبة المتقدون، والكتبة الملكيون، وكتب المعابد، وكتبة من ذوي التخصص خاصة بالشؤون الادارية، والكتابين أصبحوا من كبار موظفي الحكومة.[23]وليس من شك أن الكتابة السومرية تطورت من قرن الى قرن بل أنها لم تكن متشابهة تماما في كل المدن في عصر من العصور إذ أن كل مدرسة احتفظت بنوع من التقليد في تصوير العلامات ونجد ذلك واضحا عند مقارنة الخطوط التي يكتبها أحد المتخرجين من مدرسة "أوما" بالخطوط التي عليها في مدينة "الجش" المجاورة فالاختلاف واضح .[24]

إن ما يميز الكتابة التي أوجدها السومريون في واد الرافدين قديما هو اعتمادهم مادة خاصة، فبينما تلقى مناطق أخرى استخدمت مواد الخشب والجلد والبردي للتعبير عن الفكر عبر رموز متفق عليها، ونرى شعوب واد الرافدين استعملوا الصلصال (الطين)، ولا عجب في ذلك لأن أرض الرافدين الجنوبية كانت أرض فيضانات، لذلك نرى أن الناس الذين سكنوها يلجؤون إلى استخدام مادة واحدة المتوفرة لديهم وهي الطين، حيثكان المادة الرئيسية في التدون، وكان يرسم على الطين وهو لايزال طريا وذلك بواسطة قلم مثلث "منشوري" الشكل يمسك به مائلا وهو يضغط عليه قبل أن تجف الرقم الطينية[25]، وكان للخطوط التي يرسمونها نهايات "مدبية" بسبب

---

[21]سبتيو موسكاتي، المرجع السابق، ص 65 .

[22]فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، 193 .

[23]سعيد إسماعيل على، المرجع السابق، ص 128 .

[24]ابراهيم رزقان وآخرون، **حضارة مصر والشرق القديم**،دار مصر، ط : 1 ، مصر، (د.ت.ن)، ص 284 .

[25]ل. ويلابورت، **بلاد ما بين النهرين** – الحضارتان–البابليينوالاشوريين – ، تر : محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط :2 ، مصر، 1997 ،ص 200 .

رأس قلم الكاتب، الذي كان أشبه بالمسمار، ومن هنا جاءت تسمية هذه الكتابة بالكتابة المسمارية.[26] كانت الكتابة عندهم عبارة عن أقلام مستقيمة ومائلة الشكل ذات طرف مثلث لذلك لم يستعملوا رسم الخطوط المستديرة.[27] كانت العلامات ترتب في الأصل على خطوط رأسية، تبدأ عند الطرف الأيمن العلوي واللوح، ولكن ارادوا تيسير الكتابة على انفسهم فساروا يديرون اللوح تسعين درجة، فكانت الكتابة تبدو في الركن الايسر العلوي، وترتب في خطوط افقية تقرا من اليسار الى اليمين، كما في الانجليزية، و"الأكدية" من اللغات السامية القليلة التي تكتب على هذا النحو، فالاتجاه المضاد، الذي يسير من اليمين الى اليسار كان هو المفصل لدى السامين [28]. وكان الركن يترك خطا رفيعا بينما تترك القاعدة علامة اكثر عمقا واتساعا، وتقرا الكتابة السومرية من اليمين الى اليسار في عهد السامين.[29]

لا يمكن تدوين نصوص مطولة على لوح واحد من الطين مهما بلغ كبره، حيث لا يمكن استعمال لوح يتجاوز حجم الجرة (نحو 50 × 50 سم) على أكثر تقدير، أما في حالة الوثائق والعقود التجارية والرسائل وغيرها من شؤون الحياة الاعتيادية فكان يكفي لوح واحد للاستعمال.



تسمية المسمارية لشكلها المسماري لذلك أطلق عليها cuneiform أي المسمار

وحلت مشكل التدوين بطريقتين:

تدوين النص المطول في عدة ألواح ترتب على هيئة سلسلة متتابعة ويذيل كل لوح منها بعنوان السلسلة العام مع رقم التسلسل وبداية السطر الذي يبدأ به اللوح التالي، وكانت كل مجموعة من هذه المسلات من النصوص الادبية تحفظ في رفوف أو أوعية (جرار) من

[26] سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 127 .

[27] إبراهيم زرقان واخرون، المرجع السابق، ص 284 .

[28] سبيتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص 64 .

[29] ابراهيمزرقانواخرون،المرجعالسابق،ص282 .

الفخار أو في سلال يعلق فيها عنوان المجموعة الذي يسجل على بطاقة أو لوحة صغيرة من الطين، وهكذا وصلت إلينا "ملحمة جلجامش" الشهيرة مدونة على اثنتي عشر لوحاً"، و"أسطورة الخلق" على سبعة ألواح، وجرت العادة على أن عنوان كل مجموعة أدبية بعبارة أو شطر من الشعر ورد فيها، مثلا عنوان شريعة حمورابي " ايسو انم صيرم" أي "حينما أنو المبجل "، إن هذا الأسلوب الذي أشرنا إليه في طريقة حفظ النصوص الأدبية له صلة وثيقة بأصل نظام المكتبات وحفظ السجلات والوثائق (الارشيفية) حيث كانت المجاميع المختلفة من الألواح الطينية والمفهرسة على الوجه الذي ذكرناه تودع في حجرات خاصة من المعابد والقصور والبيوت، وكان بعضها مؤلفا من عشرات الرفوف من الوثائق والسجلات مثل مكتبة "أشور بنيبال" في "نينوى" التي كان يطلق عليها بالسومرية "بيت الالواح " .

أم الاسلوب الثاني في تدوين النصوص المطولة على الطين ولاسيما النصوص التاريخية مثل حوليات الملوك وأعمالهم العمرانية والعسكرية، فكان يتم استعمال ما يعرف بـ"المناشير" و"الاساطين" وهي من "طين المشوي" كبيرة الحجم نوعا ما، هذا النوع من الكتابات كان معرفاً في بلاد "بابل"، إلا أن استعمال "الاساطين" و"المناشير" كان من أجل أن يستوعبون نصوصا ومعلومات كثيرة بحيث تضاهي حجم كتاب صغير أو كبير[30].

2 . انتشار الخط المسماري:

انتشر الخط المسماري في بلاد الرافدين وخارجها، ولقد أستعمل الخط المسماري في بلاد الرافدين بلغتين أساسيتين هما :

2 . 1 . انتشار الخط المسماري في بلاد الرافدين:

2 . 1 . 1اللغة السومرية :

وهي لغة مازالت مجهولة الأصل ولكن بكل تأكيد ليست لغة سامية، فقد ظلت السومرية لغة محكية ورسمية في بلاد "سومر" و"أكد" فترة طويلة من الزمن، ابتداء من عصر فجر الحضارة حتى نهاية حكم "سلالة أور الثالثة"، والتي تعتبر آخر سلالة "سومرية" في التاريخ والتي سقطت 2006 ق.م. بعد هذا التاريخ استبدلت اللغة إلى "البابلية" والتي كانت لغة "الأموريين"، وحكام البلاد الجدد، وأخذت اللغة "السومرية" بعد هذا التاريخ بالاضمحلال تدريجيا كلغة محلية في المجتمع.

2 . 1 . 2 اللغة الأكادية :

وفروعها البابلية و الاشورية : وتمثل الفرع الشرقي من لغات الجزيرة –في حين تمثل الكنعانية و العبرانية و الفينيقية و الأرمينة الجزء الغربي –،[31] فاذا كان هناك اختلاف بين "سومر" و"أكد" فإنه كان في اللغة، فالسومريون استعملوا اللغة السومرية[32] ،التي مازالت عائلتها مجهولة إلا أن الاكاديون استعملوا اللغة الاكادية التي هي واحد من عائلة لغوية كبيرة درج المختصون على تسميتها بعائلة اللغة السامية.

بقيت اللغة الاكادية اللغة الرسمية التي استعملت في تدوين مئات الوثائق و العقود، والتي تتناول مختلف مظاهر الحياة اليومية و الاجتماعية و الاقتصادية، ومثلما انتشر الخط المسماري الى انحاء بعيدة من وادي الرافدين بقي هو الخط الرسمي في بلاد ما بين النهرين، فقد استخدم الخط المسماري منذ البدء اللغات السامية وبفضل الألواح (السومرية، أكادية).[33]

---

[30]طه باقر، المرجع السابق، ص 8 . 50 .

[31]فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 197 . 198 .

[32]سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 123 . 124 .

[33]جان كلود مارغرون، **السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية**، تر: سالم سليمان العيسى،ط 1 ،دار علاء الدين، دمشق، 1999، ص50.

اللغة البابلية القديمة لغة سامية، نشأت من تطور لغتي "سومر" و"أكاد"، وكانت تكتب بحروف سومرية الأصل، ولكن مفرداتها اختلفت عنها على مر الايام، (كما اختلفت الفرنسية عن اللاتينية) حتى استلزم هذا الاختلاف بين اللغتين السومرية و البابلية، وضع معجم قواعد في النحو والصرف يستعين به العلماء والكهنة على فهم اللغة السومرية "الفصحى"، والكتابة السومرية الكهنوتية، ومن أجل هذا نرى نحو ربع الالواح التي عثر عليها المنقبون في المكتبة الملكية "بنينوى" معاجم في اللغة السومرية و البابلية و الاشورية، كتباً في نحوها وصرفها ، وتقول الروايات التاريخية أن هذه المعاجم قد وضعت من عهد "سرجون ملك أكاد".[34]

كما استخدم الاشوريون الخط المسماري الذي اخترعه السومريون رغم أنهم بسطوا الحرف أكثر مما فعل البابليون، ان تاريخ حل رموز لا يصل الى النهاية، لذلك يجب ادراك سبب تمثل الخط الاشوري بمثل هذا التعقيد، منذ عام 1855م عندما عرض "ج .اوبرت" حالة تعود الى تحليل الرموز، أعتبر أن الاشوريين اقتبسوا طراز الخط من شعب آخر وهو السومري .

اخترع السومريون الخط المسماري وكتبوا به، وقد استعمله بعدهم الأكديين والبابليين والآشوريين، وكان هذا هو أول خروج للخط المسماري من حدود سومر الى حدود بلاد الرافدين، بالإضافة الى ذلك فقد كان للسامين الفضل في فك رموز الكتابة المسمارية باللغة السومرية وذلك من خلال القواميس التي تركها الاشوريين التي كانت تكتب بخط مسماري وبلغات مختلفة، وهذا ساعد علماء الآشوريات من ترجمة النصوص السومرية والقدرة على قراءتها.



القواميس الآشورية المترجمة للغة السومرية

2 . 2 انتشار الخط المسماري خارج بلاد الرافدين:

أخذ الخط المسماري في انتشاره خارج بلاد الرافدين ثلاث طرق رئيسية هي:

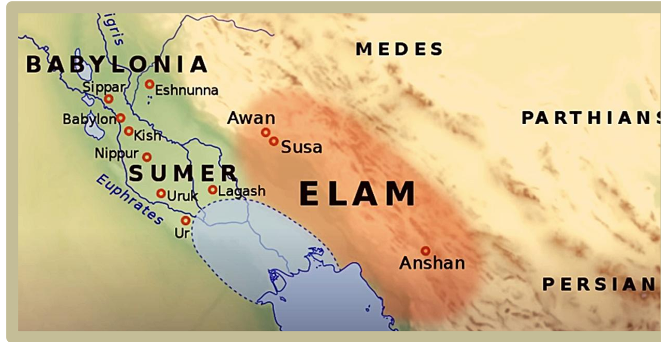
2 . 2 . 1 انتشار الخط المسماري في الاتجاه الشرقي:

[34] سعيد إسماعيل على، المرجع السابق، ص 125 .

2 . 2 . 1 . 1 عيلام:

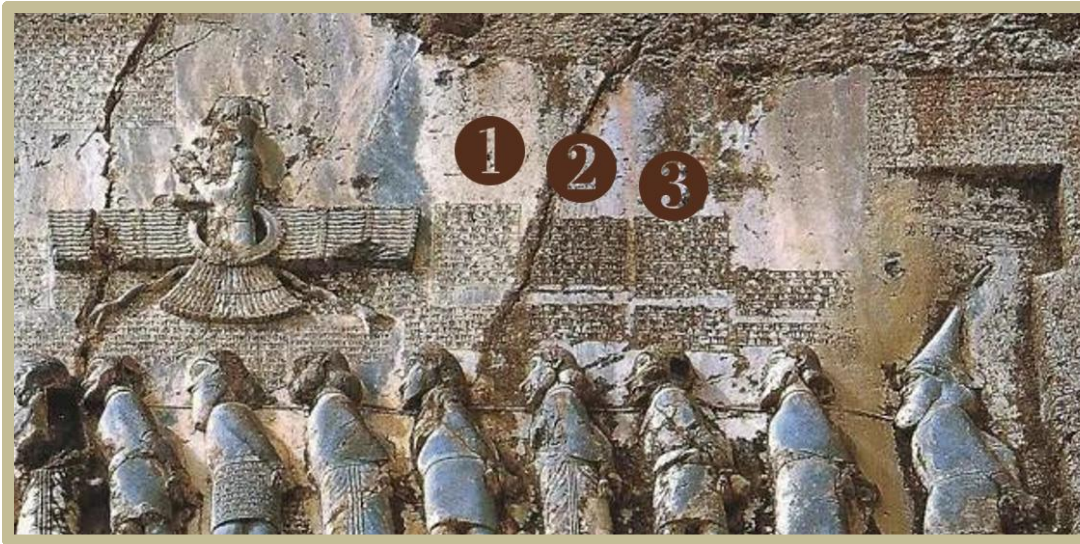
أقدم الكتابات المسمارية هي الكتابة التصويرية. انتقلت الى عاصمة العلاميين "شوشا"، حيث ظهر فيها خط تصويري يشبه الى حد كبير الخط الرافدي، مع وجود بعض الاختلافات، وبقيا هذا الخط مستعمل حتى العصر الأكدي، كما اقتبسوا العلامات الرمزية وكذلك الأرقام التي ابتكرها الرافديون، إضافة الى العثور على مجموعة من الاختام الاسطوانية في ايران تحمل كتابات مسمارية.

كما حملت اللغة الأكادية محل اللغة المحلية في عهد الملك "نرام سين" عندما ضم عيلام لحكمه.وبالتالي تعتبر منطقة عيلام امتداد جغرافي لبلاد الرافدين، فللمنطقتين ارتباط ثقافي وحضاري، وكانت جسر لنقل الكتابة المسمارية لكل من الكوتيينو الميدين والفرس والأخمينيين والساسانيين[35].



خريطة بلاد عيلام

كما كانت أولى اكتشافات الخط المسماري من بلاد الشرقية لبلاد الرافدين، بعد العثور على نقوش مسمارية وجدت في برسيبوليس (إيران) – عاصمة الإمبراطورية الفارسية كُرر فيه كل موضوع ثلاث مرات أي بثلاث لغات، وتمثل اللغات المنقوشة بالمسمارية لغات كل من بلاد فارس، عيلام وبابل. غير أنه لم يتمكن حينها أي من اللغويين أو الآثاريين من فك رموز هذا النقش.



نص مكتوب بالخط المسماري وبثلاث لغات: اللغة الفارسية واللغة البابلية واللغة العيلامية

[35]سعيد إسماعيل على، المرجع السابق، ص 126 .

يعود الفضل الى العالم الالماني جورج فريدريش في ترجمة النص الفارسي من كتابات برسيبوليس الذي كان يضم 42 علامة مسمارية تمثل حروفا هجائية وليس كتابة مقطعية، كما تمكن من قراءة أسماء الأعلام وألقابهم المدونة باللغة الفارسية القديمة. وكان فريدريش قد استند في ترجمته على قاعدتين هما:

- النصوص برسيبولس تعود للإمبراطورية الأخمينية.
- معرفة العلماء بأسماء ملوك الامبراطورية الأخمينية من مصدرين هما:
- الكتاب المقدس خاصة العهد القديم، اذ ترد فيه معلومات كثيرة عن ملوك الدولة الأخمينية وأخبارهم.
- الكتابات الكلاسيكية لاسيما المؤلفات الاغريقية واهمها كتاب المؤرخ الاغريقي هيرودوت[36].

اشتهر من أعلام الباحثين (هنري رولنصن) الانجليزي و الباحث الايرلندي (هنكس)، حيث تتابعت بحوث العلماء وازدادت المعرفة باللغة البابلية وبعلامات خطها المسماري ولم يحل عام 1857م حتى أصبح موضوع قراءة البابلية وآشورية علما مضبوطا، ومن ما ساعد على معرفة هاتين اللغتين واعجل مراحل حل رموزهما، انهما تنتميان الى عائلة اللغات السامية منها العربية والعبرية.

إن اللغة السومرية التي هي موضوع الكلمة الموجزة، والسبب في ذلك أن معرفة العلماء قد تأخرت في حل رموز اللغة البابلية، وكان العلماء اثناء قراءتهم للكتابات المدونة بالخط المسماري يجدونها مفردات اللغة غريبة وجديدة لا تشبه اللغة البابلية التي كانوا يدرسونها، وقد سبق لاحد الباحثين في المراحل الاولى من حل رموز الخط المسماري عام 1850م وهو "هنكس" الذي اظهر شكوك أن "البابليين" لم يكون هم من أوجدوا الخط المسماري، إن من اوجد ذلك الخط انما هم قوم غير ساميين بل سبقوا البابليين في وادي الرافدين، ثم نشر الباحث "هنري رولنصن" عام 1855م في مجلة "الجمعية الأسيوية" بحثاً تكلم فيه عن اكتشافه كتابة جديدة للغة غير سامية وجدها مدونة في الأجر والألواح الطين في بلاد بابل مثل (نفر لارسا والوركاء) وعاود الباحث "هنكس" مسألة عام 1856م أن هذه اللغة الجديدة غير سامية[37].

2 . 2 . 2 . انتشار الخط المسماري في الاتجاه الغربي:

2 . 2 . 2 . 1 إبلا – تلمرديخ –:

تم العثور خلال بعثة ايطالية عام 1964 – 1979 م في إبلا على ما يقارب 16500 نص كتابي مدون بالخط المسماري، يعود الى فجر السلالات الثالث وهي ذات مضامين مختلفة.



[36] صمويل كريمر، **من الواح سومر**، تر :طه باقر، مكتبة الثبني، القاهرة، ص12،13.

[37] صمويل كريمر، المرجع السابق، ص12،13.

خريطة إبلا

2 . 2 . 2 . 2 أوغاريت– رأس شمرة –:

انتشر الخط المسماري الى الغرب بالتحديد في الساحل الفينيقي، حيث عثر في رأس شمرة على ألواح طينية مكتوبة بعلامات مسمارية باللغة الكنعانية، وهي نصوص دينية واساطير شعرية.



خريطة أوغاريت

2 . 2 . 3 . انتشار الخط المسماري في الاتجاه الشمالي:

تيشر المدونات التي عثر عليها في آسيا الصغرى والتي تعود الى مطلع الالف الثاني قبل الميلاد الى انتشار الخط المسماري في آشور، إلى المراكز التجارية التي انتشرت فيها تجارة الاشوريين، حيث تم العثور على أكثر من 28000 رقم طيني مكتوب بالخط المسماري، وباللغة الآشورية، والتي تخص صفقات تجارية بين التجار، وهي عبارة عن عقود اقتصادية تتعلق بالمعاملات التجارية.التي كشفت عنها التنقيبات في مدينة"كانش" في الأرض التركية [38]، وهذا يدل على أن كثير من رجال التجارة في آسيا الصغرى كانوا يجيدون اللغة الآشورية.

انتشر الخط المسماري بين الحوريين في القرن الرابع عشر قبل الميلاد على ازيد من 4000 رقيم طيني كتبت بالخط المسماري وهي ذات مضامين مختلفة تخص عقود زواج وتبني.



---

[38] فاضلعبدالواحدعلي،المرجعتسابق،ص 196 .

خريطة آسيا الصغرى – الحوريين–

من المعروف أن الخط المسماري انتشر خارج حدود بلاد الرافدين في عصر مبكر، وكان انتشاره وشيوعه واستعماله في البلدان القديمة من الوطن العربي قد اوجد رابطا وثيقاً كان له نتائج مهمة في انتقال المفاهيم و المعتقدات الدينة، وهناك من الأدلة ما تشير إلى أن الخط المسماري انتشر في عصر مبكر الى خارج بلاد وادي الرافدين، فبعد قرنين من ظهور الكتابة في بلاد سومر ظهر في مدينة "سوسا" عاصمة "عيلام" – بلاد فارس– المجاورة ما يعرف بين المختصين بـ الخط العيلامي القديم، الذي يعود تاريخه إلى عصر "جمدة نصر" (في العراق) وقد تم العثور على نماذج من هذه الكتابة المدونة على مئات من الالواح الطينية والتي على ما يظهر أنها نصوص اقتصادية، والراجح لدى الباحثين أن الخط العيلامي القديم هذا، ظهر بتأثير الخط المسماري الذي سبق وأن اخترعه السومريون، وما يعزز هذه الفرضية أن عيلام كانت دائما وأبداً تحت تأثير المقومات الحضارية التي نمت وترعرعت في الجهة الغربية، أي في بلاد الرافدين، ويتجلى اعتماد عيلام حضاريا على بلاد سومر بصورة اكثر وضوحا وذلك عندما هجر العيلاميون في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد خطهم العيلامي القديم وهذا، واستعملوا الخط المسماري وانتشر الخط المسماري إلى الغرب، وصار الخط المسماري وسيلة التدوين المتعارف عليها في منطقة واسعة من الشرق الادنى القديم و خاصة الارض السورية و الفلسطينية كما تدل على ذلك الوثائق المسمارية المكتشفة في "ماري"، ثم شرع استخدام الخط المسماري في المنطقة بشكل واسع، حيث استعمله شعوب اخرى من غير "الاموريين" مثل "الحيثين" في "الاناضول" و"الخوريين" و"الميتنين" في شمال سوريا والعراق، وفي حدود 1400 ق.م. كان الخط المسماري قد أصبح وسيلة التدوين للوثائق الدبلوماسية المتبادلة بين ملوك وامراء حكام العراق و سوريا وفلسطين ومصر[39].

وقد ظهرت الكتابة المسمارية في نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد، وتوثقت في الألف الثالث قبل الميلاد وانتشرت، وطرأ عليها تغيرات في اوسط الالف الثاني، حتى انشطرت في الالف الاول الى فرعين: اشوري وبابلي، ويجب الإشارة هنا أن جميع البلدان المحيطة ببلاد الرافدين استعملت. ماعاد "الفينيقيين في بلاد "كنعان" الذين لم يستعملوه في مراسلاتهم الدبلوماسية، فيما ذلك قد استخدم الخط المسماريبلاد عيلام و الحيثيين في آسيا الصغرى[40].

كما أن الاصطدامات الحربية لم تكن لتعيق التفاعل الحضاري بين السومريين و الاكاديين وبين الشعوب الأخرى أيضا، في الالف الثاني قبل الميلاد حصلت المدن السامية على السيطرة السياسية فانصرفت تدريجيا الشعوب غير السامية وتقهقرت اللغة السومرية واللغة الاكادية، ولكن يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن انتصار الشعوب السامية رافقه تقبل الساميين عناصر عديدة من اللغة السومرية، التي أصبحت لغة (خاصة فيما يتعلق بالأسماء والجغرافيا والمصطلحات العقائدية) فمع ان اللغة السومرية لم تعد تستعمل في الكلام والمخاطبة، فان الكتبة البابليون والاشوريين تعلموها بدقة واتقنوها. كما في العصور الوسطى تعلم الاوربيون الكتابة باللغة اللاتينية مع أنها تستعمل كلغة للمحادثة. [41]

لا شك في أنه كان لسومريين الفضل في وضع البدايات الأولى في حقل الادب والعلوم، في حين كان للأكادين ومن بعدهم والبابليين والاشوريين الفضل في تبنيها وتطورها، ففي مجال الخط المسماري كان للسومريين الفضل الاول في استنباط اقدم وسيلة للتدوين،

---

[39] سعيد إسماعيل على، المرجع السابق، ص 126 .

[40] سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 120 . 121 .

[41] نعم فرح، المرجع السابق، ص 40 .

[42]و التي اصطلحنا على تسميتها الكتابة المسمارية قد اخذها الاكاديون عنهم ولكنهم طوروها واضافوا اليها كثيرا من القيم الصوتية الجديدة مما يلائم لغتهم، وفي نطاق الأدب وجد الأكديون والبابليون والأشوريون مادة غزيرة في التراث السومري، فدرسوها واستنسخوها من ألواحهم القديمة، وقد أخذ البابليون الهيكل العام للقصة والاسطورة والملحمة السومرية وأضافوا لها لمستهم البابلية[43].

- **خاتمة:**

إن الرمز المسماري الذي وصل اليه السومريون لم يكن وليدة فترة أو مدة زمنية قصيرة إنما وليدة عديد المحاولات، هذا الاختراع الذي حققه السومريون في بلاد الرافدين، لم يكن إنجازهم وحدهم بل كان انجاز الشعوب التي لحقتهم فقد تبن الاشوريون و البابليون الخط المسماري وطوره، فهو يعتبر إنجاز حضارة بلاد الرافدين بأكملها.

أصبح الخط المسماري في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وسيلة لتدوين الوثائق المتبادلة بين الملوك والامراء، وبالتالي أصبحت اللغات الرافدية من الأكادية البابلية والآشورية لغات الدبلوماسية للمراسلات بين الممالك، وأبرز دليل رسائل العمارنة التي ارسلت الى الفرعون المصر في عهد أمنحوتب الثالث وأخنتون.

وقد ساعد انتشار الخط المسماري في العالم القديم الى انتشار الثقافة الرافدية من أدب وفن وحضارة ومعتقد وأساطير وغيرها للعالم القديم.

---

[42]سعيد اسماعيل على، المرجع السابق، ص 126 .

[43]سبتيو موسكاتي ، المرجع السابق ، ص 65 .